

الفصل الثاني

[فعائل الأجواد من السلف وثقتهم بالله في حسن الخلق]

□ خالد بن عبد الله القسري وكيف كانت خطبته ١٩ :

فأول ما أبدى فيه ، وأشير إليه ما روى عن ابن المستورد الأشعري ، عن أبيه ، عن جدّه - وكان من الصحابة - عن يزيد بن عبد الله ، عن خالد بن عبد الله^(١) قام على المنبر بواسطة خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي - ﷺ - وقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ سَارِعُوا إِلَى الْمَغَانِمِ ، وَاشْتَرُوا الْحَمْدَ بِالْجُودِ ، وَلَا تَكْسِبُوا بِالْمُطْلِ دِمَاءَكُمْ ، وَتَعْدُوا بِمَعْرُوفٍ لَمْ تَعْجُلُوهُ ، وَمَهْمَا يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ عِنْدَ أَحَدٍ نِعْمَةٌ لَمْ يَلِغْ مَدَاهَا شُكْرُهَا فَإِنَّهُ أَحْسَنُ لَهَا أَجْرًا ، وَأَجْزَلُ عَطَاءً ، وَاعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ الْعِبَادِ إِلَيْكُمْ نِعَمٌ مِنَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ، فَلَا تَمْلُوا النِّعَمَ فَتَحُوزُوا نِقَمًا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَفْضَلَ الْمَالِ مَا اكْتَسَبَ أَجْرًا وَأُورِثَ ذِكْرًا ، وَلَوْ رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ رَجُلًا لِرَأَيْتُمُوهُ حَسَنًا جَمِيلًا يَسِّرُ النَّازِرِينَ ، وَيَفُوقُ الْعَالَمِينَ ، وَلَوْ رَأَيْتُمُ الْبُخْلَ رَجُلًا لِرَأَيْتُمُوهُ مَشُوهًا تُنْفِرُ مِنْهُ الْقُلُوبُ وَتَغْضُ مِنْهُ الْأَبْصَارُ .

أيها الناس من جَاد سَاد ، ومن بَخِلَ ذَلَّ ، وإن أكرم الناس من أعطى من لَا يَرْجُوهُ ، وأعظم عَفْوًا من عَفَا عَنْ قُدْرَةٍ ، وأفضل الناس من وَصَلَ مِنْ قَطْعَةٍ ، وَمَنْ لَمْ يَطْبَحْ حَرْثَهُ لَمْ يَزَلْ^(٢) نَبْتُهُ ، والفروع عن مغارسها تنمو وبأصولها تسمو ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم » .

□ رجل حُشِيَ كَرَمًا ! :

وروى عن بعض بنى أمية أنه ولي الكوفة مدة طويلة وكان بها رجل من وجوهها^(٣) وأكبرها ، وكان لا تجف له لُبْدَةٌ^(٤) ، ولا يستريح ، ولا تسكن له حركة في طلبه حوائج إخوانه ، وإدخال السرور عليهم ، والإنفاق

(١) خالد بن عبد الله القسري أمير العراقيين من قبل هشام بن عبد الملك .

(٢) زكا نبتة : غا وزاد .

(٣) وجوهها : أعيانها وأصحاب الشأن فيها .

(٤) اللبْد : ما يوضع تحت السرج والعبارة كلها كناية عن تواصل أسفاره وكثرة .

على ذرارهم ، وكان عفيفاً في دينه وأمانته ، لين الكلمة للإخوان .
وقيل له : أخبرنا ما الذي هَوَّنَ عليك النَّصَبَ ، وقَوَّاك على التَّعَبِ في
حوائج إخوانك وأصدقائك ؟ وما هو الباعث لك على ذلك ؟ ومن أى شكل
هو ؟ .

فقال : والله سمعت تغريد الأطيار بالأسحار على الأشجار ، وتجاوب العود
والمِزمار ، وسمعت فنون العيدان والقينات^(١) الحِسَّانَ ، فما طربت من
صوت حَسَنٍ كطربى من لسان يُثْنِي على رجل قد أحسن ، ومن شُكَّرَ حُرٌّ
لمنعم حُرٌّ ، فقيل : لله أبوك^(٢) ! لقد حُشِيتَ كرمًا .

□ أحب الأوائى إلى الله أصفاهها ! :

وروى عن النبى - ﷺ - أنه قال : « ألا إن لله - عزَّ وجلَّ - في
الأرض أوائى ألا وهى القلوب ، وأحبُّ الأوائى إلى الله أصفاهها وأصلبها
وأرقها ، أصفاهها من الذنوب ، وأصلبها في الدين ، وأرقها على
الإخوان »^(٣) .

قال الشاعر :

إن السخاء على العبادِ فريضةً لله تُثلى في الكتابِ المخكمِ
وَعَدَ الإلهُ الأسخياءَ جِنايته وأَعَدَ للخلاءِ نارَ جهنَّمِ
من كان لا تَنذَى يدها بطائل للراغِبِينَ فليس ذاك بمسلم^(٤)

□ أولى الناس بظهر الأرض ، وأحقهم بطنها :

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - :
« إذا كان أمراؤكم خياركم ، وأغنياؤكم سُمَحَاءَكم ، وأمركم شورى بينكم ،
فظهر الأرض خير لكم من بطنها ، وإذا كان أمراؤكم شراركم ، وأغنياؤكم
بخلاءكم ، وأموركم إلى نساءكم ، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها »^(٥) .

(١) القينات : جمع قينة وهى الجارية المغنية . (٢) من أساليب التعجب .

(٣) حديث صحيح : أخرجه الطبرانى فى الكبير ، وقال الحافظ العراقى فى تخرىج الإحياء : رواه
الطبرانى وإسناده جيد انظر الصحيحة للألبانى ١٦٩١ .

(٤) بطائل : بمعروف ، ويلتقى هذا البيت مع الحديث الذى رواه الحاكم من حديث عائشة بلفظ :
« ليس المؤمن الذى بيت شجاعا وجاره جالس إلى جنبه » .

(٥) أخرجه الترمذى وقال : حديث غريب .

□ علام يدل الشيب في مقدم الرأس والقفا ؟ ! :

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : « شيب الرجل في مقدم رأسه من الكرم ، وفي قفاه من اللؤم ! » .

□ ماذا ينفع مع اللثيم ؟ :

وقال عبد الله بن عمر : « اللثيم لا تنفع عنده معرفة إلا عن رغبة أو رهبة » .

□ بخل هنا وسخاء هناك ! :

وقال إبراهيم بن أدهم : « بخلت بالدنيا على أصدقائك ، وسخوت بآخرتك على أعدائك فلا أنت بما بخلت به معذور ، ولا بما سمحت به محمود » .
وأنشد :

من أظهر الإحسانَ مِنْ فِعْلِهِ وَعَمَّ بِالْفَضْلِ جَمِيعَ الْأَنَامِ
أَزْدَحَمَ النَّاسُ عَلَى بَابِهِ وَالْمَنْهَلُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الرَّحَامِ
□ أفابخل عليهم اليوم بالدنيا ؟ :

قال : وورث عبد الملك بن الحر خمسين ألفاً فبعث بها إلى إخوانه صُرراً وقال :
« كنت أسأل لإخواني في صلاتي الجنة أفابخل اليوم عليهم بالدنيا ؟ ! » .

□ هكذا كان الأصحاب ! :

وقال ابن سيرين : « كان أصحابنا يتهادون الدراهم في الجُوالقات^(١) وعلى الأطباق » .
□ بم نتقى الشر ؟ :

وقال النبي - ﷺ - : « من أدّى الزكاة ، وأقرى الضيف ، وأدى الفائتة فقد وقى شرَّ نفسه^(٢) »

(١) جمع جُوالق وهو وعاء من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح والتمر ونحوهما .

(٢) لم أعر على هذا النص فيما بين يدي من المراجع وقريب من بعضه ما رواه ابن خزيمة والحاكم والطبراني في الأوسط من حديث جابر مرفوعاً بلفظ : « من أدى زكاة ماله فقد ذهب عنه شره » .

□ من عضها الجوع ! :

وقيل : كانت خالة حاتم الطائي سَخِيَّة لا تترك شيئاً إلا جادت به ، فَحَجَّرَ عليها أخواتها حتى إذا ذاقَت طعم الفقر والجوع ظنوا أنها قد وَجَدَتْ أَلَمَ الضيق . فأطلقوها ودفعوا لها صرة فيها مال ، فأنتها سائلة فقالت : دُونَكَ الصِّرة لقد عَضَّيْتُ الجوع بما لا أَمْنَع بعده سائلاً أبداً .

□ إِنْ غَضِي لَا يُسْقَطُ هَبْتِي ! :

وكان بعض الأجواد يُجْرَى على رجلٍ شيئاً ، فغَضِبَ عليه ، وكان ولده يكتب إطلاقات^(١) للناس ويرفعها إليه ، فترك اسم ذلك المغضوب عليه ، فقال : يابني أين ذكر فلان ؟ فقال : يَأْبَتُ إِنَّكَ كُنْتَ غَضِبْتَ عليه ! ، فقال : يابني إِنْ غَضِي لَا يُسْقَطُ هَبْتِي ، إِنْ أَبَاكَ لَا يَغْضَبُ فِي التَّوَالِ^(٢) .

□ لَمْ وَصِفَ اللَّهُ بِخَيْرِ الرَّازِقِينَ !؟ :

وسُئِلَ بعض الصوفية : لِمَ وَصِفَ اللَّهُ بِخَيْرِ الرَّازِقِينَ ؟ فقال : لِأَنَّهُ إِذَا كَفَرَ بِهِ لَمْ يَقْطَعْ رِزْقَهُ عَنِ الْكَافِرِ ! .

[جُودُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ]

□ مَا بَقِيَ عِنْدَنَا دَرَاهِمُ ! :

وسأل رجل الحسن بن علي - رضي الله عنهما - فقال له الحسن : يَاهَذَا سَوَالُكَ يَعْظُمُ لَدَيَّ ، وَمَعْرِفَتِي لِمَا يَجِبُ لَكَ يَكْبُرُ عَلَيَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ قَلِيلٌ ، وَمَا فِي مِلْكِي . وَفَاءً لَشُكْرِكَ فَإِنْ قَبِلْتَ بِالْيَسِيرِ ، وَرَفَعْتَ عَنِّي مُؤَنَةَ الْاِحْتِيَالِ وَالْاهْتِمَامِ بِمَا أَتَكَلَّفُ بِهِ مِنْ وَاجِبِكَ فَعَلْتُ ! .

فقال الرجل : يَابْنَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَنَا أَقْبَلُ الْيَسِيرَ ، وَأَشْكُرُ عَلَى الْعَطِيَّةِ ، وَأَعْذِرُ عَلَى الْمَنَعِ .

فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها ، فقال له : أَعْطَنِي الْفَاضِلَ مِنْهَا فَأَحْضِرْ خَمْسِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ مِنْهَا ، قَالَ : فَمَا فَعَلْتُ بِالْخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ ، قَالَ : عِنْدِي ، قَالَ : عَلَيَّ بِهَا ، فَأَحْضَرَهَا ، فَدَفَعَ لَهُ الدَّرَاهِمَ وَالْدَنَانِيرَ ، وَقَالَ لَهُ : أَحْضِرْ مِنْ يَحْمِلُهَا ، فَأَتَاهُ بِمَنْ يَحْمِلُهَا ، فَدَفَعَ

(١) يقال : أعطاه من ماله طلقاً أى نصيباً .

(٢) النوال : العطاء .

له الحسن رداء كان عليه أجرة حملها ، فقال له مواليه : مابقى عندنا درهم ، فقال لهم : أرجو أن يكون لى عند الله تعالى ذلك ! .
[تنافسوا فى الخير تفلحوا]

□ أذنت لكم أن تذبحوا هذه الشاة ! :

وحدث أبو الحسن المدائنى ، قال : خرج الحسن والحسين - رضى الله عنهما - ومعهما عبد الله بن جعفر - رضى الله عنه - حُجَّاجًا فسبقتهم القافلة وفاتهم أثقالهم فجاجعوا وعطشوا ، فمروا بعجوز فى خيأها لها ، فقالوا لها : هل من شراب ؟ قالت : نعم ، فأتأخوا^(١) بها ، وليس لها إلا شوية^(٢) واحدة ، فقامت وحلبت الشاة وأتتهم بلبنها ، فشربوا ثم قالوا : هل من طعام تأتينا به ؟ فقالت : أذنت لكم أن تذبحوا هذه الشاة فما عندى سواها ، فقام إليها أحدهم فذبحها وقطعها ، فهيات لهم العجوز منها طعاماً فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا^(٣) ، فلما ارتحلوا قالوا : نحن قوم من قريش نريد هذه الوجهة ، فإذا رجعنا فمرى بنا فإننا صانعون لك خيراً إن شاء الله تعالى ، ثم ارتحلوا ، وجاء زوج المرأة فأخبرته خبر القوم وما قالوا لها ، فقضب وقال : ويحك أتدبحين شاة مالنا سواها لقوم لم نعرفهم ؟! ، ثم بعد مدة ألجأتها الحاجة إلى دخول المدينة ، فدخلها وجعل يبتاعان البقر^(٤) ويعيشان بثمنه ، فمرت العجوز فى بعض الطرق ، وإذا الحسن على باب داره فعرفها وهى لم تعرفه ، فبعث إليها غلامه فدعاها إليه ، فقال لها : ياأمة الله هل تعرفينى ؟ قالت : لا . قال : أنا أحد ضيوفك يوم صنعت لنا الشاة ، قالت : بأى أنت وأمى ، فأمر أن يشتري لها من غنم الصدقة ألف رأس ، وأمر لها بألف دينار ، وبعث بها إلى الحسين ، فصنع معها ما صنع الحسن ، ثم بعث بها إلى عبد الله بن جعفر ، فقال : بكم وصلك الحسن والحسين ؟ قالت : بألفى شاة وألفى دينار ، ففعل بها مثل صنيع الحسن والحسين ، فرجعت العجوز لزوجها بالمال والأغنام ! .

□ قالوا : أنفدت المال ، وأجحفت بالخزانة ! :

وقدم عبد الله بن جعفر على يزيد بن معاوية ، فقال يزيد : ما كان أمير

(١) أناخوا بها : نزلوا عليها وحطوا رحالهم .

(٢) شاة صغيرة ضعيفة .

(٣) أبردوا : قضوا وقت القيلولة والظهيرة عندها حتى انكسرت الموجة الحارة .

(٤) البقر : رجع ذوات الحف ، وذوات الظلف إلا البقر الأملى .

المؤمنين يعطيك ؟! - يعنى أباه معاوية - قال : كان رحمه الله يعطينى مائة ألف إذا قدمت عليه ، قال : لك مائة ألف ولقولك : « رحمه الله » مائة ألف ، قال : بأبى أنت^(١) وأمى ، قال : ولهذه الكلمة مائة ألف ، قال : أحسن الله إليك ، قال : ولهذه الكلمة مائة ألف ، قال : فحمل عبد الله المال وانصرف ، فقيل ليزيد : أنفدت المال ، وأجحفت بالخزانة ، دفعت لرجل واحد خمسمائة ألف درهم ، فقال : ما دفعتها له وحده وإنما دفعتها لسائر أهل المدينة لأنه ما يملك درهماً إلا جاد به ، فلما رجع عبد الله إلى المدينة لم ينزل عن راحلته حتى فرقها لمن يستحقها ، فعوتب في ذلك فقال : إن الله عودنى عادة وعودت خلقه عادة ، فعودنى أن يمدنى بالرزق وعودت خلقه بالبر ، فأكره أن أقطع العادة فيقطع عني المادة ! .

□ من دعاء الأجواد ! :

وقيل : ضاق به الوقت في آخر عمره فدعا يوم الجمعة ، وقال : « اللهم إن كنت صرفت عني ما كنت تُجرّيه على يدي من الإحسان إلى خلقك فاقبضني إليك » فما عاش إلى الجمعة أخرى ! .

[مَنْ أجود الناس ؟!]

وحدث الهيثم بن عدى قال : تراهن ثلاثة نفر في الأجواد ؛ فقال أحدهم أجود الناس في عصرنا هذا قيس بن علقمة .

وقال آخر : أجود للناس في عصرنا هذا غرابة الأوسى .

وقال آخر : أجود الناس في عصرنا هذا عبد الله بن جعفر ، فتشاجروا في ذلك وأكثروا ، فقال لهم الناس : يمضى كل واحد منكم إلى صاحبه يسأله حتى ينظر ما يعطيه ويحكم على العيان .

□ خذها بما عليها ! :

فقام صاحب عبد الله بن جعفر ، فصادفه وقد تجهز لبعض أسفاره على راحلته ، فقال له : يابنَ عمِّ رسول الله - ﷺ - أنا ابنُ سبيل منقطع يريد رِفْدَكَ^(٢) ليستعين به ، وكان قد وضعَ رجله على ظهرِ راحلته فأخرج رجله

(٢) عطاءك .

(١) أفديك بهما .

وقال : خُذْهَا بِمَا عَلَيْهَا ، فَأَخْذَهَا فَإِذَا عَلَيْهَا مَطَارُفُ خَزٍّ^(١) وَأَلْفَا دِينَار .
□ أَحْضِرْ لَكَ رَاحِلَةً فَارْكِبْهَا ! :

● ومضى صاحب قيس فصادفه نائماً ، ففرع الباب فخرجت إليه جارية ، فقالت : ما حاجتك فإنه نائم ؟ قال : ابن سبيل منقطع أتيت إليه يعينني على طريقتي ، فقالت الجارية : حاجتك أهونُ عليّ من إيقاظه علينا ، ثم أخرجت له صُرة فيها ثلثمائة دينار ، وقالت له : امض إلى معاطين^(٢) الإبل فأحضر لك منها راحلة^(٣) فاركبها ، وامض راشداً ، فمضى الرجل وأخذ المال والراحلة ، فلما استيقظ قيس من نومه أخبرته الجارية بالخبر فأعتقها سروراً .

□ خذ هذين العبدین ! :

● ومضى صاحب عرابة فوجده قد عَمِيَ ، وقد خرج من منزله يريد المسجد ، وهو يمشی بين عَبدَين ، فقال له : يا عرابة ! ابن سبيل ومنقطع ، يريد رِفْدَكَ ، فقال : واسؤلاته !! ، والله ما تَرَكْتُ الحقوقَ في بيتِ عَرَابَةٍ الدَّرْهَمَ الفرد ، ولكن يأخى خذ هذين العبدین ، فقال الرجل : ما كنت بالذي أقصُ جَنَاحَكَ ! ، فقال : والله لا بد من ذلك وإن لم تأخذهما فهما حُرَّان ! .

فترع يديه من العبدین ورجع إلى بيته ، وهذا الجدار يَلْطِمُهُ وهذا الجدار يَصْدِمُهُ حتى أثّر في وجهه ، فلما اجتمعوا حكموا لصاحب عرابة بكثرة الجود^(٤) .

[عبد الله بن جعفر والأعرابي]

□ خذه بما عليه ! :

وخرج أعرابي حاجاً فلما كان في بعض الطرق مات جَمَلُهُ ، فذهب إلى عمرو بن عثمان وكان يومئذ والي المدينة وشكا إليه فلم يعطه شيئاً ، فقعد

(١) الخَزْ : أحسن الحرير ويسمى الإبريسم والمطارف : جمع مَطْرَف وهو رداء أو ثوب من خز مربع ذو أعلام .

(٢) المعاطين : مبارك الإبل ومراض الغنم عند الماء .

(٣) الراحلة من الإبل : الصالح للأسفار والأحمال .

(٤) تجدهذه القصة في الدر المنثور للمناوي (ص ٧٠ - ٧١) والمستطرف للإبشي (١/ ٢٤٨ - ٢٤٩) .

الأعرأى يتصفّحُ وجوهَ الناس ، فمرّ به عبد الله بن جعفر ، فقام إليه الأعرأى وقال هذه الأبيات :

أبا جعفر إن الحجيحَ تَحَمَّلُوا وليس لرحلى فاعلمنَّ بعيرُ^(١)
أبا جعفرِ ضَنَّ الأميرِ بِمالِهِ وأنت على ما في يَدِكَ أميرُ^(٢)
أبا جعفر ابن الشهيد الذى له جناحان في أعلا الجِنانِ يَطِيرُ^(٣)
أبا جعفر من آل بيت نبوةٍ صلاحُهم للعالمين طُهُورُ
وكان لعبد الله بعير يقدمه فعزله ، وقال : خذه بما عليه ، فذهب الغلام الذى له لياخذ السيف الذى كان لعبد الله على البعير ، فقال له عبد الله : دعه فقد أعطيته البعير بما عليه ، فقال الغلام للأعرأى : احتفظ بالسيف فإنه اشتراه بألف دينار .

□ كم قوثك ياولدى ؟ ! :

وخرج عبد الله بن جعفر هذا إلى بعض أسفاره ، فنزل على نخيل لقوم وفيهم عبد أسود يحرسها ، فأتى بقوته وهو ثلاثة أقراص ، فبينما هم جلوس إذ دخل كلب إلى تلك النخيل وهو يلهث ، فدنا من الغلام وتَشَوَّفَ^(٤) إلى تلك الأقراص فرمى له العبد قرصاً فأكله ! ، ثم رمى له الثانى فأكله ! ، ثم رمى له الثالث فأكله ! ، فأكل الجميع وعبد الله ينظر إليه ، فقال عبد الله للبعيد : كم قوثك ياولدى كل يوم في هذا المكان ؟ قال : ثلاثة أقراص وهى هذه ! ، قال فلم آثرت هذا الكلب بهن ! قال : ياسيدى ليست هذه بأرض كلاب ! ولم أشك أنه جاء من مسافة بعيدة وهو جائع ! ولما لم يحضرنى سواها ، قلت : أطوى^(٥) إلى غد ، قال عبد الله : بخـ بخـ ، والله إن هذا إلا أسخى^(٦) منى ! ، فما برح عبد الله إلى أن اشترى النخيل والعبد وأعتقه ووهب له النخيل وارتحل عنه ! .

(١) تحمّلوا : ارتحلوا .

(٢) ضَنَّ : بخل .

(٣) جعفر الطيار مات شهيداً بعد أن قطعت أطرافه ومن شابه أباه فما ظلم ! .

(٤) تشَوَّفَ : تطلّع ونظر وانتظر أن يناله منها نصيب ! .

(٥) أطوى : أبيت طاوياً جائعاً .

(٦) بخـ بخـ : كلمة استحسان وإعجاب نقولها لإظهار إعجابنا بما نراه أو نسمعه . وإن بعدها بمعنى ما أى ما هذا إلا أسخى منى .

[خذها وأمسك عليك دارك]

قال عَرَضَ محمد بن الجهم دارَه لبيعها ، فلما اجتمع الناس دفع فيها شخص خمسين ألف درهم ، فقال له محمد بن الجهم ! اشترها وطب نفساً وقر عينا ، قال : بماذا ؟ قال : بجوار سعيد بن العاص ، قال : وما سيرته في جيرانه ؟ قال : إن سأله أعطاك ، وإن سكت عنه ابتدأك ، وإن أسأت إليه أحسن إليك ، وإن أحسن إليك لم يَمُنَّ عليك ! .
فبلغ القول إلى سعيد بن العاص فوجه إليه بمائة ألف درهم ، فقال : خذها وأمسك عليك دارك ! .

[جود عبد الله بن عامر]

□ ما بالهم يكون !؟ :

واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة داراً كانت له في السوق بتسعين ألف درهم ، فلما كان الليل سمع عبد الله بكاء آل خالد ، قال : ما بالهم يكون !؟ قال : إنهم سيكون لخروجهم من دارهم التي اشتريتها ، فقال : يا غلام أعلمهم أن الدار والمال لهم جميعاً ! .

[إني أكره أن أسأل في بيت الله غير الله !!]

ودخل الرشيد إلى الكعبة ومعه إبراهيم الحجبي ، فلما خلا به قال له : يا إبراهيم قد وجب حَقُّك عليّ فإن كانت لك حاجة فاذكرها لي ، فقال : يا أمير المؤمنين إني أكره أن أسأل في بيت الله غير الله ! .

□ يدك بالعطية أبسط من لساني ! :

وقال المأمون للعتابي : سلني ، فقال : يا أمير المؤمنين يدك بالعطية أبسط من لساني بالمسألة^(١) ! ، فاستحسنها منه وأمر له بأربعين ألف درهم وقربه .

(١) بالمسألة : بالسؤال .

[من حكايات أبي دلف]

□ كأنما الدنيا أبو دُلف ! :

وذكر أبو العباس الشيباني ، قال : لما مرض أبو دُلف بالعلّة التي مات بها أقام شهرًا ملازمًا للوِسادة ، فأفاق يومًا ؛ فقال لخدمه بشر : كم مر لي على هذا الحال ؟ قال : شهر ، فلما سمع ذلك من بشر بكى كثيرًا وقال : أيمر عليّ من عمرى هذا المدة لا أبسطها^(١) لأحد من الناس ؟! ، يابشر ؛ اخرج إلى الباب فإنّي قلّمَا أشهد أن بالباب قومًا لهم إلينا حوائج ، فلا تمنع أحدا من الدخول إلينا ، فخرج بشر فإذا عشرة من أولاد أبي طالب^(٢) فأمرهم بالدخول ، فدخلوا ، فابتدر رجل منهم وقال : أصلحك الله ! نحن قوم من بنى طالب .. مرضت لنا والدّة ، وقد أحاطت بنا المصائب ، وأجحفت بنا النوائب ؛ فإن رأيت أن تحير كسرنا وتعين فقرنا فعجل !؛ فقال لخدمه : خذ يدي وقم فأجلسني على ذاك ، ففعل ، ثم قال : ليأخذ كل واحد منكم ورقة ، وليكتب فيها بخطه أنه قد قبضَ مِنّي مائة ألف درهم ، فتحيروا عند قوله !؛ فلما كتبوا الرّقاع^(٣) وضعوها بين يديه ، فقال لخدمه : اتنى بالمال ، فأحضره فأعطى كل واحد منهم مائة ألف درهم .

فلما تسلموا المال قال له رجل منهم : بالآباء نفديك ، وبالأُمّهات نقيك !؛ والله ما لنا مالٌ ولا عَقارٌ ، وخطوطنا عندك ما^(٤) تصنع بها ؟! ، فبكى ! وقال لهم : أتظنون أنها وثائق عليكم ؟! ، لا والله ! لا والله !؛ ثم قال لخدمه : يابشر إذا أنا متُّ فأجعل الرّقاع في أكفاني ! شفاعة لي يوم القيامة .

ثم قال له : أوصل لكل منهم ألف دينار لنفقة طريقه ، انصرفوا ، بارك الله فيكم .

(١) أى لا أبسط يدي بالعطاء والبسط كتابة عن الجود والقبض كتابة عن البخل .

(٢) قد تعرضوا نحن كثيرة بعد مقتل علي - رضى الله عنه - !

(٣) الرّقاع : جمع رُقعة وهى قطعة من الورق أو الجلد تُكتب .

(٤) أى الرّقاع التي وقعا عليها بتسلم المبلغ منك .

وقد قيل فيه :

كأنما الدنيا أبو دُلْف بين باديهِ ومُخَضَّرِه
فإذا وَلَّى أبو دُلْف وَلَّت الدنيا على أثره^(١)
[لا أرضى بالعطاء اليسير]

خرج يزيد بن المهلب على بنى أمية وتغلب على البصرة فأخذه عمر ابن عبد العزيز وحبسه ، فهرب من سجنه ليلاً وكان معه ابنه مُخَلَّد ، فنزلا بعجوز من العرب فذبحت لهما عَنَزًا ، فلما أصبح قال لابنه : كم معك من المال ؟ قال : ثمانمائة دينار ، قال : ادفعها للعجوز ، قال : يَأْبَتُ إنك لفي شدة ؛ وإنك لمحتاج للمال ! ، وهذه العجوز يُرضيها منك اليسير وهي لاتعرفك ، فقال أبوه : يا بني إن كان يرضيها مني اليسير فأنا لا أرضى بالعطاء اليسير ، وإن كانت لا تعرفني فأنا أعرف بنفسى ! .
ادفع المال كله لها ، ففعل ومضيا ! .

[معن والشعراء]

□ ما أقل قَسَمَ هذا الشاعر ! :

وذهب بعض الشعراء إلى مَعْن فأقام بيابه يوماً فلم يؤذن له ، فقال : لأحد غلمانه : ما بال الأمير لا يركب^(٢) ؟ فقال له : هو في البستان مختلٍ ، فأتى الشاعر إلى البستان وأخذ خشبة وكتب عليها وهو يقول بصوت حسن :

أياجودَ مَعْنٍ ناجٍ مَعْنًا بِحَاجَتِي فمالي إلى مَعْنٍ سِوَاكَ رَسُول !
ثم ألقاها في الماء الذى هو داخل البستان ، وكان معن جالساً على رأس الماء ، فلما رأى الخشبة أخذها وقرأها ، فأمر بدخول صاحبها ، فلما دخل ووقف بين يديه قال له : اجلس ، فلما جلس قال له : كيف قلت ؟ فأنشده البيت ، فأعجبه كثيراً وتمايل طَرَبًا ، وأمر له بمائة ألف درهم ، ووضع الخشبة تحت بساطه .

(١) البيتان للمكوك على بن جبلة من قصيدة طويلة .

(٢) لا يركب : لا يخرج للنزهة والأسفار ! .

فلما كان في اليوم الثاني أخرجها وقرأها ، ثم دعا بصاحبها فدفع له مائة ألف درهم ، فلما أخذها الرجل تَفَكَّرَ في نفسه وقال : أخاف أن يرتجعها مني ، فأخذ المال وذهب .

فلما كان في اليوم الثالث أخرجها وقرأها ، ثم دعا بصاحبها فأخبر أنه قد انصرف ، فقال معن : ما أَقْلَ قَسَمٌ^(١) هذا الشاعر لقد وجب له على أن لا يكون في خزائني درهم إلا أعطيته^(٢) .

[جود عبد الله بن عامر]

وخطب عبد الله بن عامر الناس في يوم عيد النحر وكان عاملاً بالبصرة حينئذ وكان من فصحاء الناس فَأَزْتَجَ عليه ولم يُفْتَحَ عليه بشيء ولا بكلمة واحدة فبقى ساكناً ساعة ، ثم قال : يا أهل البصرة لا يجمعُ عليكم عبد الله بين صَمْتٍ ولومٍ ! ألا من أخذ-شاة من السوق فهي له وثمنها على ، قوموا رحمكم الله ، قال : فتبادر الناس إلى غنم كانت تباع قريباً من سوق بإزاء المصلى ، فأخذ كل منهم شاة ووزن عبد الله ثمنها فكانت القيمة عن ذلك أربعة آلاف دينار ! .

□ دنائير لها وزنها ! من أجل الصدقة ! :

وكان جعفر بن يحيى يضرب دنائير وزن كل دينار منها وزن مائة دينار ويصعد إلى أعلى داره ويرمي بها ، فمن أخذ منها شيئاً كان له ولا ينكر عليه إذا صرفه وكان على كل دينار مكتوب هذان البيتان :

وأصفر من ضرب دار الملوك يلوح على وجهه جعفر
يزيد على مائة واحداً إذا ناله مـعـسـرٌ يـنـسـرُ^(٣)

□ هل ربح أحد من التجار كربحى !؟ :

وركب خالد في يوم شديد البرد كثير الغيم ، فتعرض له رجل في الطريق ، فقال له : ناشدتك الله إلا ضربت عنقي ، فقال له : أكفر بعد إيمان ؟ قال : لا . قال : أَرَأَيْنا بعد إحصان^(٤) ؟ قال : لا . قال : أفرغبت عن

(١) القَسَمُ : العطاء . (٢) تجد هذه القصة في المستطرف (١/٢٣٩) .

(٣) يَنْسِرُ : يستغنى ، ويصبح موسراً . (٤) أى بعد تزوج وعفة !

طاعة الرحمن^(١)؟ قال : لا . قال : أفقتلت نفساً بغير تبيين^(٢)؟ قال : لا . قال : فما سبب ذلك ؟ قال : لى خصم لحوح قد علق لى ولزمنى وقهرنى ، قال : من هو ؟ قال : الفقر ، قال : فكم يكفيك لدفعه ؟ قال : أربعة آلاف درهم ، قال : إنى مُمَدِّكَ بأربعة آلاف درهم ، ثم قال : يا غلام ادفع له أربعة آلاف درهم ، ثم التفت وقال : هل ربح أحد من التجار كربحى اليوم ، قال : وكيف ذلك ؟ قال رغبت فى أن أُعْطَى لهذا الرجل ثلاثين ألف درهم ، فلما طلب أربعة آلاف درهم توفر على ستة وعشرون ألف درهم ، فلما سمع الرجل ذلك منه قال : حاشاك وأعيذك بالله أن تربح على مؤمِّلِكَ ، فقال : يا غلام : أعطه ثلاثين ألفاً ، ثم قال للرجل : اقبض المال واذهب آمناً من خصمك ، ومتى رجع يقارضك^(٣) استنجِدْنَا عليه .

□ ما فضل الكريم عن اللئيم ؟ :

وحدث الأصمعى قال : كنت أغشى رجلاً لكرمه ، فأتيته بعد مدة فوجدته قد أغلق بابَه ولزم بيته ، فأخذت ورقة وكتبت فيها هذا البيت :
إذا كان الكريم له حِجَابٌ فما فضل الكريم على اللئيم ؟!
وبعث بها إليه ووقفت أنتظر الجواب ، فعادت وعلى ظهرها مكتوب :
إذا كان الكريم قليل مالٍ تَسْتَرُ بالحِجَابِ عن الغريم^(٤)
ومع الرُّقعة صُرة فيها خمسمائة دينار .
فقلت : والله لأثْجِفَنَّ أمير المؤمنين بهذه الحكاية ، فأخذت الصُرة والرُّقعة ومَضَيْتُ إلى المأمون فدخلت عليه ، فقال : من أين يا أصمعى ؟! فقلت : من عند أكرم الناس - حاشا^(٥) - أمير المؤمنين - ثم قصصْتُ عليه القصة ووضعت الصُرة والرُّقعة بين يديه .
فتأمل الصرة وقال : يا أصمعى هذه الصرة بختم بيت المال ، فأخْضِرِ

(١) رغب عن طاعة الرحمن : تركها وهجرها وهى بخلاف رغب فيها : أى مال إليها فهناك فرق بين رغب فى .. ورغب عن ..

(٢) بغير تبيان ووضوح دليل وسبب للقتل . (٣) يقارضك . يقال : قارضه الزيارة : زاره ليزوره . ويقال : قارضه : جازاه ، وهو فى الشر أغلب .

(٤) الغريم : الدائن . المطالب بالمال .

(٥) حاشا : ماعدا وهى من أدوات الاستثناء .

الرجل الذى دفعها إليك !، فقلت : الله الله ياأمير المؤمنين ! الرجل قد أولانى خيراً ، قال : لابدّ منه ، فقلت له : غير مُرَوَّع^(١) !، قال : غير مُرَوَّع ، فعرفته مكانه ، فبعث إليه فحضر ؟!

فلما مثل بين يديه جعل المأمون يتوسّمه^(٢) وينظر إليه ، ثم قال : ألسنت أنت الرجل الذى وقفت بموكبنا بالأمس وشكنا إلينا رقة حاله وكثرة عياله ؟ قال : نعم ياأمير المؤمنين ، قال : وأمرنا لك بخمسمائة دينار ؟ قال : نعم وهى هذه ياأمير المؤمنين ! .

قال : ولمّ دفعته للأصمعى على بيت واحد من الشعر ؟ قال : استحييت أن أردّ قاصدى إلّا كما ردّنى أمير المؤمنين بالأمس ! قال : لله درك^(٣) ! ما أكرم خلقتك وأوفر مروءتك ! .

ثم أمر له بألف دينار ، فأخذها وانصرف ، قال الأصمعى : فقلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يُلحِقَنى به ، قال : لا . نحن نكمل لك ألفاً ، فأمر للأصمعى بكما لها ! .

□ احمّلوها على دابته واذهبوا بها إلى منزله :

قيل : واشترى عبد الله بن أبى بكر جارية بعشرة آلاف درهم ، فطلب دابة ليحملها فناده رجل : ياسيدى هذه دابتي لك ، فقال : احمّلوها على دابتي واذهبوا بها إلى منزله ، ثم قال هذه الأبيات : .

سابق إلى الخير وبأدب به فإن من خلفك ما تغلم
وقدّم الخير فكلّ امرئٍ على الذى قدّمه يُقدّم
ياليث شعري^(٤) بعدنا ما الذى يورثك الدينار والدرهم ؟!

□ سلوك الكرام ! :

قال : وكان عمر بن أبى ربيعة إذا احتجم^(٥) أعتق الذى حجمه ، فإذا

(١) غير مُرَوَّع : أى على شرط ألا نسب له ما يزعمه ويروعه .

(٢) يتوسّمه : يتأمله ، ويدقق النظر فيه ويستعيد ذكريات سبقت ! .

(٣) أسلوب من أسلوب التعجب . والمراد : كثر خيرك والدر اللين . ويقال هذا الأسلوب فى المدح والتعجب .

(٤) ليت شعري : ليتى أعلم .

(٥) عمر بن أبى ربيعة أحد شعراء الغزل واحتجم : طلب الحجامة ، والحجم يحترف الحجامة كالخلاق وهو يقوم بجمع بعض الدم الفاسد بمحجمه فى قارورة .

لم يكن له ابتاعه فأعتقه ، فإن كان حرًّا أعطاه غُرَّة^(١).

[جُود ابن خَارجة]

□ خذ بيدها بارك الله فيك ! :

قال : ورجع أسماء بن خارجة إلى باب داره ، فإذا بفتى على باب داره ، فقال له : يا فتى ما أجلسك ههنا ؟ قال : خيرًا ، فألح عليه ، قال : جئت سائلاً إلى هذه الدار فخرجت إليّ منها جارية فاخترطت قلبي ، فجلست لكي تخرج ثانيًا فأنظر إليها ! ، قال : أو تعرفها ؟! قال : نعم ، قال : فدعا الجوارى ، فجعل يعرض عليه .. هذه .. هذه حتى مرت به التي يعرفها ، قال : هي هذه ! ، فقال : مكانك^(٢) ، ودخل الدار وخرج ، وقال : إنها لم تكن لي فابتعتها بثلاثة آلاف درهم ، فخذ بيدها بارك الله لك فيها ، فولدت له بالكوفة أولادًا كثيرين ! .

□ بذل الوجه ! :

قال : وكان أسماء بن خارجة يقول : ما بذل لي رجل^(٣) وجهه فرأيت شيئاً من الدنيا أعظم من بذل وجهه ! ، وفيه يقول :

إذا مات ابن خارجة بن حصن فلا مَطَرُث على الأرض السماء
ولا رجَعَ البشيرُ بِنُعمِ جَيْشٍ ولا حَمَلَت على الطُّهرِ النساءُ
فيوم منك خيرٌ من أناسٍ تروح عليهم نَعَمٌ وشاء^(٤)
فبورك في بنيك وفي بنينهم إذا ذُكروا ونحن لهم فداء

[صور من جُود عائشة أم المؤمنين]

قال : ودخل المنكدر على عائشة - رضى الله عنها - فقال : أصابتنى حاجة فأعينينى ، فقالت : ما عندي شيء ، ولو كانت عندي عشرة آلاف

(١) غرة : من المتاع خياره ورأسه .. والغرة أيضا : عبد أو أمة .

(٢) مكانك : اسم فعل أمر بمعنى الزم .

(٣) بذل وجهه : أقبل عليه طيب النفس ! .

(٤) نَعَم وشاء : التَّعَم : المال السام ، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل . والشاء : جمع شاة وهى الواحدة من الضأن والمغز والظباء والبقر والنعام وخُمِر الوحش .

درهم لبعثها إليك ، فلما خرج من عندها جاءتھا عشرة آلاف درهم ، فأرسلتها إليه ، فخرج إلى السوق فاشتري جارية بألف درهم فولدت له ثلاثة أولاد فكانوا يقولون : من خير عباد المدينة محمد وأبو بكر وعمر أبناء المنكدر .

□ صاحب شرطة معن :

وذكر عن صاحب شرطة معن ، قال : بينا أنا على رأس معن إذا هو براكب مُجَدِّ يريد النزول بساحة معن ، فقال لحاجبه : لا تحجبه ، فجاء به حتى مثل بين يديه ، وقال : أصلحك الله ، ثم قال :
قُلْ مَا يَدِي فَمَا أُطِيقُ الْعِيَالُ إِذْ كُتِرُوا
الدَّهْرُ رَمَانِي بِكُلِّكُلِهِ^(١) فَأَرْسَلُونِي إِلَيْكَ وَانْتَظَرُوا^(٢)
 فحمل إليه مايفى بحاجته !!.

[الأعرابي وطلحة الطلحات]

وحدث عن الأصمعي قال : لقي أعرابي طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ ، فقال :
 أترى أن تُفِيضَ عَلَيَّ مِمَّا أَفَاضَ اللَّهُ عَلَيْكَ ؟! قال : يا غلام احْثُ له^(٣) مما في خُرْجِكَ^(٤) فحتى له حتى امتلأ كُفُّهُ دنانير ، فبكى الأعرابي ، فقال له :
 ما يبكيك يا أعرابي ؟ لعله لم يكفِكَ ما أَخَذْتَ وَاسْتَقَلَّلْتَهُ ؟! قال : ولا والله ولكني أبكي على كريم مثلك يواريه التراب ، فقال : يا غلام ادفع إليه الخُرْجَ كما هو .

[من أسخياء أهل الإسلام]

□ الطلحات الأجواد :

وقد ذكر أن الأسخياء من أهل الإسلام : عبد الله بن جعفر ، وطلحة

(١) الكلكل : الصدر أو ما هو بين الترقوتين والمراد أنه يحمل حملا ثقيلًا .

(٢) القصة في المستطرف (١/٢٣٩) .

(٣) احْثُ له : أعطه غرفة والواحدة خُتْوَة .

(٤) الخُرْج : وعاء من شعر أو جلد ذو عِذْلَيْن ، يوضع على ظهر الدابة لوضع الأمتعة فيه . والعِذْل : الجانب والناحية

الطلحات وسمى بذلك لأنه أجود من سُمي به ، قال الأصمعي :
والطلحات ، الأجواد خمسة : طلحة بن عبد الله ، « وهو طلحة الفيّاض » ،
وطلحة بن عمر بن عبد الله التيمي وهو « طلحة الجواد » ، وطلحة بن عبيد
الله بن عوف وهو « طلحة التّدّي » ، وطلحة بن الحسن بن علي وهو « طلحة
الخير » ، وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي وهو « طلحة الطلحات » .

□ طلحة الطلحات وأهل البصرة ! :

وحكى أن طلحة الطلحات لما قدم البصرة أتاه الناس يسلمون عليه
فأدخلهم داره ، وقبل أن ينزل عن دابته قال لغلامه : انظر من أتى مُسَلِّمًا
هل له من حاجة ؟ فنادى غلامه في الناس من كانت له حاجة فليعرضها
فقال هذا : عليّ دين ، وقال آخر : كذا ، وآخر كذا ، وآخر غير ذلك ،
واختلفت حوائجهم .

فقال لهم طلحة : قضيت حوائجكم ، وأعطاهم ما طلبوا ، فقال الناس :
ما رأينا مثل طلحة هذا ، وثياب السفر عليه ، وأخرج قبل أن ينزل أربعمائة
ألف درهم ! .

[معن وشعر الشعراء]

□ لم يبق في بيت المال إلا ما أخذت ! :

قال : كان لمعن شاعر يغشى مجلسه في كل يوم ، فانقطع عنه أيّامًا ، فلما
دخل عليه قال : ما أبطأك ؟! قال : وُلِدَ لي مولود ، قال : فما سميتُه ؟! قال :
سميتُه معنًا بمعن ، ثم قلتُ له هذا سَمِيَّ عَقِيدِ المجد والجودِ
قال : يا غلام ؛ أعطه ألف دينارٍ وقل بيتًا آخر ، قال :

عَلَوْتُ بِجُودِكَ جُودَ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَصَارَ جُودُكَ مَحْرَابَ الْأَجَاوِيدِ^(١)
قال : يا غلام ؛ أعطه ألف دينارٍ وقل بيتًا آخر ، قال :

أَنْتَ الْجَوَادُ وَمَنْكَ الْجُودُ أَوَّلُهُ فَإِنْ فُقِدْتُ فَمَا جُودٌ بِمُجُودٍ !
قال : يا غلام ؛ أعطه ألف دينارٍ وقل بيتًا آخر ، فقال :

مِنْ نُورِ وَجْهِكَ تُضْحِي الْأَرْضُ مُشْرِقَةً وَمِنْ بَنَانِكَ يَجْرِي الْمَاءُ فِي الْعُودِ !

(١) عَلِيٌّ يَثَلَّى فِي الشَّرَفِ عَلَاءٌ فَهُوَ عَلِيٌّ : ارتفع . ومثله : علا يعلو .

قال : يا غلام ؛ أعطه ألف دينار ، وقل بيتاً آخر ، فقال الغلام : لا تقل شيئاً بعد ذلك ! والله لم يبقَ في بيت المال إلّا ما أخذت ، ثم انصرف ! .

□ ما القِرَى في نظرهم ؟ ! :

وقال : حصلت في بعض البوادي فحضرني جماعة من فتيان العرب فقلت لأحدهم : ما القِرَى ؟ قال : نارٌ يعلو شرفُها^(١) ، وخيمة يُوطأ^(٢) كنفُها^(٣) . فقلت لآخر : كيف القِرَى ؟ قال : تُلْقَى التَزِيل بالوجه الجميل . وقال آخر : نارٌ تَأْجُجُ وأَسنة تَلْهُوج^(٤) . وقلت لشيخ فيهم : ما تقول أنت ؟ قال : تاج الغرام يُستدل به على بيوت الكرام .

وقال آخر : نار قديمة السواد ، عظيمة الرماد^(٥) يحيا بها جميع العباد . وقلت لآخر ممن الرجل ؟ فقال : من الذين لا تخفى نارُهم ، ولا يخفى جارُهم^(٦) وحسبي أنهم في العلّياء أشهر من نجوم السماء ! فانظر يا أخى إلى ذكر أحوال هؤلاء القوم يَلِيثُ أشخاصهم ، وتُليث مكارمهم وأوصافهم ، تضرب بهم الأمثال كأن أوقاتهم كانت أضغاث أحلام ! ..



(١) يقال : علا الشيء شَرْفاً : أشرف وأطل . (٢) كنفها : جانبها . ويوطأ : يمهّد .

(٣) تلهوج الشيء : تعجله ، وتلهوج اللحم لم ينضجه . والاسنة جمع سنان : كل ما يسن عليه السكين وغيره .

(٤) قديمة السواد : دائمة الاشتعال : كثيرة الرماد هي كناية عن كثرة الطبخ والشي مما يدل على الكرم .

(٥) لا يخفى جارهم من كثرة المشى والسعى إليها .